

التفسير الإشاري حدوده وتجاوزه

د- عبد المجيد أبو القاسم الرحبي - كلية العلوم والآداب الأصابعة - جامعة الجبل الغربي

المقدمة :

إن المتأمل لأغلب كتب تفسير القرآن الكريم يجد أن أصحابها جمعوا فيها بين التفسير بالمأثور كالطبري وابن كثير وغيرهما، وبين التفسير بالمأثور والرأي معا كتفسير الكشاف للزمخشري والجلالين والبيضاوي وغيرها، إلا أن بعض المفسرين أضافوا إشارات أو تأويلات في تفاسيرهم أطلقوا عليها اسم التفسير الإشاري أو الباطني، أو العرفاني، أو الرمزي، أو الشهودي، والذي يشير كل اسم إلى نوع خاص من التفسير الإشاري، وهذا النوع من التفسير وإن تباينت آراء العلماء حوله بين مجوز عند فريق وممانع عند آخر فهو موجود في بعض كتب التفسير يتدارسه المسلمون ويتداولونه بينهم، بين مدرك له بأنه إشارات ليست تفسيراً ظاهراً فيتخيرون منه ما وافق التشريع، وبين جاهل به وغافل عن خطره يظن أنه من أصول التشريع فيبني عليه أحكاماً ويؤسس عليه منهاجاً . وفي هذا البحث سأحاول التوقف عند هذا النوع من التفسير بدقة الباحث وبصيرة المتأمل في أعماق الحقيقة لمعرفة ما إذا كان الغرض منه اتباع الهوى والتلاعب بآيات القرآن وصرفها عن مسارها الصحيح، أو كان الغرض منه الإشارة إلى تعظيم كتاب الله، واستنباط ما فيه من أسرار وعجائب لا تنقضي فيكون ذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان.

التعريف بالتفسير الإشاري :

الإشارة لغة: هي الإيماء والإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب وإنما يُريد به ههنا الرأس، يقال: أوْمَأْتُ إِلَيْهِ أَوْمَى إِيْمَاءً وهي العلامة - (1) . أما في الاصطلاح: فمعناه أن يستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له والإشارة : إما أن تكون حسية كما في أسماء الإشارة كـ(هذا)، أو ذهنية كالإشارة للمعنى من الكلام وتكون ظاهرة وخفية .

وعرفه الزرقاني(2): بأنه تفسير القرآن بغير ظاهره مع عدم إغفال الظاهر، ويمكن الجمع بينه وبين الظاهر أيضاً (3)، كما عرفه الصابوني: ((بأنه تأويل القرآن على خلاف ظاهره لإشارات خفية تظهر لبعض أهل العلم أو العارفين بالله من أرباب السلوك والصفاء والمجاهدين للنفس، فمن نور الله بصائرهم أدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انفتحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام

الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة)) (4)

آراء العلماء فيه :

أشار الزرقاني في مناهل العرفان إلى اختلاف العلماء في هذا النوع من التفسير بين مجوز وممانع، وسرد جملة من آرائهم في بيان حكمه فقال: ((وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور - الإشاري - فمنهم من أجازته ومنهم من منعه...ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية(5) فإنهم يقولون إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة)) (6).

وقال الزركشي(7): في كلام الصوفية في تفسير القرآن ((فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقيل ليس تفسيراً وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار﴾ التوبة الآية 36. - إن المراد النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه- (8).

وقال السيوطي (9): ((اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ولا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما ألهمهم)) (10).

أما الشاطبي(11): فقد قال في الموافقات وهو يتحدث عن أنواع التفسير الإشاري :

((ولكن له وجه جار على الصحة وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما هو ند في

الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين :

إحدهما: أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه)) .

ثم قال: ((وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك - أي التفسير الإشاري - من الفضلاء وربما ألمّ الغزالي بشيء منه في الإحياء وغيره وهو مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلين:منهم من يصدق به ويأخذه على ظاهره ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه وإذا

عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافة فرما كذب به أو أشكل عليه، ومنهم من يكذب به على الإطلاق ويرى أنه تقول وبهتان وفيه ميل عن الإنصاف (((12).

وقال الحافظ ابن حجر في تأكيد هذا المعنى أثناء شرحه لحديث ابن عباس المشهور في تفسير إذا جاء نصر الله وأن فيها إشارة لأجل النبي وقصة ابن عباس مع عمر وأهل الشورى قال الحافظ: ((وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه أو فهما يؤتبه الله رجلا في القرآن)) (13) .
كما إن الناظر في الفتاوى الكبرى لابن تيمية(14)، وأعلام الموقعين لابن القيم(15) يجد أنهما يقران بالإشارات، وأن الله يفتح على عباده الصالحين من سرعة الفهم والتوفيق ما يجعلهم يقتبسون من القرآن الكريم إشارات وفتوحات بسبب طهارة قلوبهم ونقاء سرائرهم حيث قال: ((لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي: إلا فهما يؤتبه الله عبدا في كتابه، وفي الأثر: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع)) (16) .

وقال ابن القيم: ((والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكما أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمانه وإشارته وتنبيهه واعتباره)) - (17) .

إلا أننا نجد ابن تيمية في موضع آخر يقر القياس الصحيح وإلحاق ما ليس بالمنصوص في قبول التفسير الإشاري، أما تحريف الكلام عن مواضعه وتأويله على غير تأويله فهو من كلام الباطنية ليس بإشارات ربانية حيث قال: ((فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى :
إشارة حالية: وهي إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه. وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال : مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية)) - (18) .

وقال ابن عاشور(19) في التحرير والتنوير وهو يتحدث عن بعض إشارات الصوفية في بعض الآيات لقرآن الكريم: ((أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل

ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن ، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني ...)) - (20) .

وقال: ((فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية ؛ لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسوا تلك الإشارة للآية . فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين)) (21) .

ويرى الباحث : أن بعض العلماء يرون أن الإشارات التي يأتي بها الصوفية ليست بتفسير للقرآن وإنما هي معانٍ ظهرت لهم أثناء تلاوتهم وتدبرهم للقرآن الكريم فيمكن الأخذ بها كمعانٍ خفية ظهرت لهم مع عدم إغفال المعنى الظاهر للآية، إذ في إغفاله هدم للشريعة وفيها بالكلية

أما القول بأن النصوص على ظواهرها مع وجود بعض الإشارات الخفية تظهر لأرباب السلوك والصفة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان .

كما يرى الباحث: أن هذه الإشارات التي ترد على أذهان بعض العارفين أوقعت العوام في حيرة كبيرة فاختلف الأمر عليهم وحسبوا من قبيل معاني القرآن وتفسيره، ولبت أصحاب هذه الإشارات لم يذيعوها على الناس وأبقوها عندهم لهان الأمر، لكنهم أودعوا كتب التفسير فكانوا كمن يدس السم في العسل، ففهمها البعض أنها تفسير لآيات القرآن، وهم بهذه أتوا على الشريعة من أساسها والتشريع من قواعده، وهنا أستحضر قولاً للشيخ الزرقاني أدمع به رأي وأستشهد به وهو: ((إن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة، بل والإسلام كله ما هو إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات، وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخيلات، فلم يحترموا قوانين اللغة العربية في فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله والأدهى من ذلك أنهم يتخيلون ويخيلون للناس أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالاً أسقط عنهم التكليف)) - (22) .

ضوابط التفسير الإشاري :

لقد تكلم علماء التفسير عن الشروط الواجب توافرها في قبول هذا النوع من التفسير قال ابن القيم: ((وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب، وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شروط

- 1- أن لا يناقض معنى الآية .
 - 2- وأن يكون معنى صحيحا في نفسه .
 - 3- وأن يكون في اللفظ إشعار به .
 - 4- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .
- فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا)) - (23) .
وقال الزرقاني: ((مما تقدم يعلم أن التفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا بشروط خمسة وهي :

- 1- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم .
 - 2- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر .
 - 3- ألا يكون تأويلا بعيدا سخيلا كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بجعل كلمة لمع فعلا ماضيا وكلمة المحسنين مفعوله .
 - 4- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي .
 - 5- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .
- ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن، ثم إن له شاهدا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض، وإنما لم يجب الأخذ به ؛ لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه ، بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين)) - (24) .

ويرى الباحث أن من الضرورة بمكان التوقف عند هذه الشروط في مسألة التفسير الإشاري وبالرغم من تشدد الزرقاني فيها إلا أنه ينبغي أن يعتمد عليها المفسر، وأن يراعي حرمة القرآن، وأن يحذر من أن تزل به القدم في تفسيرات قد تخرج القرآن عن مساره الصحيح الذي أراده الله، وألا تجنح به الإشارات بعيدا، بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع ويحسن ملاحظة شرطين بدلتهما :

- أحدهما:** بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولا .
ثانيهما: ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسر له .

أهم كتب التفسير الإشاري :

أشار الزرقاني في مناهل العرفان إلى أهم كتب التفسير اعتناء بالتفسير الإشاري وعددها أربعة وهي: تفسير رغائب القرآن ، ورغائب الفرقان للنيسابوري- وتفسير الألوسي- وتفسير التستري وتفسير محي الدين ابن العربي، فضلا عن تفسير أبي عبد الرحمن السلمي، وتفسير القشيري .
وفي هذا البحث سأتوقف عند أبرز هذه التفاسير اعتناء بالتفسير الإشاري، سائقا جملة من الشواهد حول الإشارات التي أوردها أصحابها .

أولاً- تفسير رغائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري:

لقد كانت لي وقفات مطولة مع هذا التفسير العظيم حيث إنني أجريت عليه دراسة واسعة في مرحلة الدكتوراه الأمر الذي سيجعل وقفاتي حول الإشارات التي ساقها النيسابوري أمراً غاية في السهولة .

النيسابوري: هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين المعروف بالنظام الأعرج، الملقب بالنيسابوري نُسِبَ إلى نيسابور فغلبت نسبتها عليه أصله وموطن أهله وعشيرته مدينة " قم" (25) وكانت إقامته ، وموطنه بديار نيسابور وينسب إلى خراسان وهو الإقليم الذي تقع نيسابور في ربعه الغربي والمتأمل في كتب التراجم و التاريخ يجد أنها لم تزودنا بشيء عن نشأته وتعليمه وسائر تفاصيل حياته ولم تحدد لنا تاريخ ميلاده(26) .

شواهد من التفسير :

لقد أطلق النيسابوري على التفسير الإشاري اسم التأويل، وجعل له عنواناً مستقلاً فهو يقوم بعد عرض الآيات بذكر القراءات، ثم التفسير، ثم الوقوف ثم التأويل وهو ما يقصد به التفسير الإشاري وهو بهذا سهل على الباحثين التوقف عندها .

والنيسابوري من المفسرين الذين زخرت تفاسيرهم بكثرة التأويلات أو الإشارات، ومن الصعوبة بمكان حصرها جميعاً ولكن حسبنا في هذا الباب التوقف مع نماذج من الإشارات التي ساقها ومنها ما ذكره عند قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴾ سورة البقرة الآية 84- 85- 86.

حيث قال ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ فِي عَهْدِ أَلْسَتُ بِرَبِّكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ بامثال أوامر الشيطان واتباع خطواته، وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ التي كنتم فيها في أصل الفطرة وتُخْرَجُونَ قَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ لَا تَقْتَصِرُونَ عَلَى ضَلَالِكُمْ بل يعاون بعضكم بعضاً على الإعراض عن حقوق الله والإقبال على حظوظ النفس وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ فَمَنْ أَسْرَ فِي قَيْدِ الْهَوَى فإنقاذه بالدلالة على الهدى، ومن أسر في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى، ومن أسر في أيدي الشكوك والشبهات ففداؤه إرشاده إلى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات، ومن أسر في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله إلى معبوده، ومن أسر في قبضة الحق فليس لأسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم فرار ولا إليهم بغيره سبيل ولا لديهم دليل أفئذؤمئون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في أول الخطاب أَلْسَتُ بِرَبِّكُمْ فَفَلْتُمْ

بلى وَتَكْفُرُونَ بَبَعْضٍ وهو الذي عاهدتم عليه ألا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي)) - (27) .

ففي هذه الآيات يرى الباحث أن التفسير الإشاري عند النيسابوري جاء بما هو قريب للظاهر ولا توجد به تجاوزات من شأنها هدم الشريعة في تصوير بدیع ترتضيه النفس وتستسيغه العقول ولا يخالف ظاهر التفسير ولا نستطيع بأن نحكم عليه بأنه تأويل القرآن على غير مراده أو نفي الظاهر المراد بل هو إشارات قريبة لظاهر التفسير .

وأيضا ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)﴾ سورة الأنعام 51- 52- 26 .

حيث قال: ((وَأَنْذِرْ بِهِ أي بهذه الحقائق والمعاني الَّذِينَ يَخَافُونَ أي يرجون أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ بجذبات العناية ويتحقق لهم أَنْ لَيْسَ لَهُمْ في الوصول إلى الله مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ من الأولياء وَلَا شَفِيعٌ يعني من الأنبياء، لأن الوصول لا يمكن إلا بجذبات الحق، وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَخْبِرَ عن الفقراء أنهم جلساؤه بالعادة والعشي فلا تطردهم عن مجالستك فإنهم يطلبوني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الآخرة ولكن يريدون وجهه.

قال المحققون: الإرادة احتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل إلى الله فصاحب الإرادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا، ولا يجد من دون الوصول إلى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فإنهم ليسوا في شيء من ذلك ليكون عليك ثقلا وما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ أي الذين لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك إلى ذلك حاجة ليثقل عليهم فَتَطْرُدُهُمْ فتكسر قلوبهم بالطرد فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ بوضع الكسر مقام الجبر فإنك بعثت لجبر قلوبهم لا لكسر قلوبهم كقوله ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر - 88 ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ 53-54-55- وكذلك فَتَنَّا بَعْضَهُمْ لِيَشْكُرَ الْفَاضِلَ وليصبر المفضل فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولأيوب كليهما: نعم العبد، مع قدرة سليمان على أسباب الطاعة وعجز أيوب عنها. ومن فتنة الفاضل في المفضل رؤية فضله على المفضل أو تحقيره، ومنع حقه عنه في فضله، ومن فتنة المفضل في الفاضل حسده على فضله وسخطه عليه في منع حقه من فضله

عنه، فإن المعطي والمانع هو الله. ومنها أن لا يرى الفاضل مستحقاً للفضل ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم إنه سبحانه من كمال فضله على الفقراء حملهم محمل الأكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: كن مبتدئاً بالسلام عليهم وفي الآخرة فألهم الملائكة أن يسلموا عليهم في الجنة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾- سورة الزمر- 73- بل سلم بذاته عليهم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٌ﴾ يس-85 وكل ذلك نتيجة سلامتهم من ظلمة الخلقة بإصابة رشاش النور في الأزل فهذا قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَي الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ كَمَا خَصَّ الْخَضِرَ فِي قَوْلِهِ ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ الكهف- 65 والرحمة العامة كما في الحديث الرباني للجنة "إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي" (28) أَلَمْ تَرَ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ أَي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سُوءًا بِجَهَالَةٍ أَي بِجَهَالَةِ الْجَهُولِيَّةِ الَّتِي جَبَلَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا لَا بِجَهَالَةِ الضَّلَالَةِ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ إِخْطَاءِ النُّورِ فَإِنَّ هَذِهِ لَا تَوْبَةَ لَهَا ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ أَي رَجَعَ إِلَى اللَّهِ بِقَدَمِ السَّيْرِ مِنْ بَعْدِ إِفْسَادِ الْإِسْتِعْدَادِ الْفَطْرِيِّ وَأَصْلَحَ الْإِسْتِعْدَادَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِقَبُولِ الْفَيْضِ، قُلْ إِنِّي نُهِيتُ فِي الْأَزْلِ بِإِصَابَةِ النُّورِ الْمُرْشَشِ، مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهُوَى لِفُضِيِّ الْأَمْرِ يَعْنِي أَمْرَ الْقِتَالِ وَالْخُصُومَاتِ وَلَا سْتَرَحْتُ مِنْ أَدْبَتِكُمْ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَنْفَعُ عَنِ ضَدِّهِ لَا عَنِ شَبِيهِهِ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (59) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ يَعْنِي الْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي هِيَ سَبَبُ فَتْحِ بَابِ صُورِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ كَالنَّقَاشِ يَنْشِئُ الصُّورَ فِي ذَهْنِهِ ثُمَّ يَصُورُهَا فِي الْخَارِجِ. وَإِنَّمَا وَحْدَ الْغَيْبِ وَجَمْعُ الْمَفَاتِحِ؛ لِأَنَّ عَالَمَ الْغَيْبِ عَالَمَ التَّكْوِينِ وَهُوَ وَاحِدٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَفِي الْمَلَكُوتِ كَثْرَةٌ يَعْلَمُ التَّكْوِينِ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَهُوَ عَالَمُ الشَّهَادَةِ وَالْبَحْرِ وَهُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ (29) .

ويرى الباحث : أن المتأمل للإشارات التي ساقها النيسابوري يجدها لا تعارض التفسير الظاهر وتخلو من شطحات أهل الباطن الذين ينادون بالإشارات وينفون ظاهر التفسير .

وشاهد ثالث من الإشارات التي ساقها النيسابوري والتي لا يتعارض فيها التفسير الإشاري مع ظاهر التفسير والذي يكاد يصب في نفس المعنى ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (71) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (88) - سورة القصص .

حيث قال: ((أرأيتم إن جعلَ اللهُ عَلَيْكُمْ ليلَ الفراقِ عندِ استيلاءِ ظلمةِ البشريةِ سرمداً منَ إلهٍ غيرِ اللهِ يَأْتِيكُمْ بضياءِ نهارِ الوصلِ والتجليِ قُلْ أرأيتم إن جعلَ اللهُ عَلَيْكُمْ نهارَ الوصلِ بطُلوغِ شمسِ التجليِ سرمداً منَ إلهٍ غيرِ اللهِ يَأْتِيكُمْ بليلِ سر تسكنون فيه عن وعشاءِ سطوةِ التجليِ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جعلَ لَكُمْ ليلَ السرِ ونهارَ التجليِ فإن العاشقَ لو دام في التجليِ كاد يستهلك وجوده، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول "إنه ليغان على قلبي" - (30) .

وقال لعائشة: كلميني يا حميراء- المستدرك على الصحيحين بلفظ أخبريني- (31) وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلي إلى سر ظل البشرية ليستريح من التعب والنصب. وليس هذا السر من قبيل الحجاب وإنما هو من جملة الرحمة واللطف نظيره الشمس في عالم الصورة فإنها في خط الاستواء تحرق، وفي الآفاق الرحوية لا تؤثر، وفي الآفاق الحملية يعتدل الحر والبرد فتكثر العمارة وتسهل ويعيش الحيوان وتزعمنا من كل أمّة من أرباب النفوس شهيداً هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهاتكم وهو حقيقة التوحيد التي لا تحصل بالفعل إلا بجذبة خطاب الحق فعملوا بتلك البراهين القاطعة أن الحق لله إن قارون النفس كان من قوم موسى القلب لأن الله تعالى جعل النفس تبعاً للقلب وجعل سعادتها في متابعتها وأتيناها من الكئوز المودعة في صفاتها قد أهلك من قبله من القرون كإبليس فإنه أكثر علماً وطاعة في زينته هي التي زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحياة الدنيا وهم صفات النفس. وقال الذين أوتوا العلم وهم صفات الروح فحسبنا به الأرض دركات السفلى وداره وهي قلبه أرض جهنم يتغلغل فيها إلى يوم القيامة بل إلى الأبد نجعلها للذين لا يريدون كما قال في بعض الكتب المنزلة: عبدي أنا ملك حي لا أموت أبداً، أطعني أجعلك ملكاً حياً لا تموت أبداً. عبدي أنا ملك إذا قلت لشيء كن فيكون، أطعني أجعلك ملكاً إذا قلت لشيء كن فيكون، وعن النبي صلى الله عليه وسلم "عنوان كتاب الله إلى عباده المؤمنين من الملك الحي الذي لا يموت إلى الملك الحي الذي لا يموت، إن الذي فرض أي أوجب عليك التخلق بخلق القرآن لرادك إلى معادٍ هو مقام الفناء في الله والبقاء به قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَهُوَ بَدَلُ الْوُجُودِ الْمَجَازِيِّ فِي الْوُجُودِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ أَي إِلَّا أَنَا أَلْقِينَا الْكِتَابَ إِلَيْكَ إِلقاءَ الْإِكْسِيرِ عَلَى النَّحَاسِ فَتَخَلَّقْتَ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ)) - (32) .

ثانياً - تفسير الألوسي :

هو تفسير روح المعاني للألوسي، لشهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي مفتي بغداد سنة 1270 هـ (33) وهو من أجل كتب التفسير وأوسعها وأجمعها جمع فيه روايات السلف بجانب روايات الخلف المقبولة، وهو من التفاسير التي حفلت بالتفسير الإشاري - (34) .

ومما قاله في التفسير الإشاري ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُسخِهَا نأتُ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (106) إلى قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - سورة البقرة، حيث قال: ((ومن باب الإشارة في الآيات ما ننسخ من آية أي ما نزيل من صفاتك شيئاً عن ديوان قلبك أو نخفيه بإشراق أنوارنا عليه إلا ونرغم فيه من صفاتنا التي لا تظن قابليتك لما يشاركها في الاسم والتي تظن وجود ما لا يشاركها فيك أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ عَالَمِ الأرواحِ وأَرْضِ الأجسادِ وهو المتصرف فيهما بيد قدرته بل العوالم على اختلافها ظاهر شؤون ذاته ومظهر أسمائه وصفاته فلم يبق شيء غيره ينصرمك ويليكم أم تُريدون أن تُسئلوا رسول العقل من اللذات الدنية والشهوات الدنيوية كما سئل موسى القلب من قَبْلُ وَمَنْ يَبْدَلِ الظلمة بالنور فقد ضل الطريق المستقيم وقالت اليهود لن يدخل الجنة المعهودة عندهم وهي جنة الظاهر وعالم الملك التي هي جنة الأفعال وجنة النفس إلا من كان هوداً وقال النصراني لن يدخل الجنة المعهودة عندهم وهي جنة الباطن وعالم الملكوت التي هي جنة الصفات وجنة القلب)) .

وهو بهذا وافق النيسابوري فيما ذهب إليه من إشارات لأرباب السلوك كونها تتفق مع ظاهر التفسير - (35) .

وكلك ما ساقه من إشارات في قوله تعالى من سورة يونس: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أشار سبحانه إلى أنهم يستمعون لكن حكمهم حكم الأصم في عدم الانتفاع وذلك لعدم استعدادهم حقيقة أو حكماً بأن كان ولكن حجب نوره رسوخ الهيئات المظلمة، وكذا يقال فيما بعد، ثم إنه تعالى رفع ما يتوهم من أن كونهم في تلك الحالة ظلم منه سبحانه لهم بقوله جل شأنه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً بَسَلْبِ حَواسِهِمْ وَعَقُولِهِمْ مِثْلاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ حيث طلب استعدادهم غير المجعول ذلك وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ " لذهولهم بتكاثف ظلمات المعاصي على قلوبهم يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ بحكم سابقة الصحبة وداعية الهوى اللازمة للجنسية الأصلية، وهذا التعارف قد يبقى إذا اتحدوا في الوجهة واتفقوا في المقصد وقد لا يبقى وذلك إذا اختلفت الأهواء وتباينت الآراء فحينئذ تتفاوت الهيئات المستفادة من لواحق النشأة فيقع التناكر وعوارض العادة قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لما ينتفعون به وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ من جنسهم ليتمكنوا من الاستفاضة منه فإذا جاء رَسُولُهُمْ فَضِي بَيْنَهُمْ بَانِجَاءٍ من اهتدى به وإثابته وإهلاك من أعرض عنه وتعذبه لظهور أسباب ذلك بوجوده وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فيعاملوا بخلاف ما يستحقون وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ إنكار للقيامة لاحتجابهم بما هم فيه من الكثافة قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ سلب لاستقلاله في التأثير وبيان لأنه لا يملك إلا ما أذن الله تعالى فيه، وهذا نوع من توحيد الأفعال وفيه إرشاد لهم بأنه لا يملك استعجال ما وعدهم به "يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةُ

مَنْ رَبَّكُمْ وَشَفَاءَ لِمَا فِي الصُّدُورِ" أي تزكية لنفوسكم بالوعد والوعيد والزجر عن الذنوب المتسببة للعقاب والتحريض على الطاعة الموجبة بفضل الله تعالى للثواب وَشَفَاءَ لِمَا فِي الصُّدُورِ أي دواء للقلوب من أمراضها التي هي أشد من أمراض الأبدان كالشك والنفاق والحسد والحقد وأمثال ذلك بتعليم الحقائق والحكم الموجبة لليقين والتصفية والتهيو لتجليات الصفات الحقة وَهُدًى لَأُرَوِّحَكُمْ إِلَى الشُّهُودِ الذَّاتِي وَرَحْمَةً بِإِفَاضَةِ الْكَمَالَاتِ اللَّائِقَةِ بِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ حَصُولِ الْإِسْتِعْدَادِ فِي مَقَامِ النَّفْسِ بِالْمَوْعِظَةِ وَمَقَامِ الْقَلْبِ بِالتَّصْفِيَةِ وَمَقَامِ الرُّوحِ بِالْهُدَايَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالتَّصْدِيقِ أَوْ لَا ثُمَّ بِالْيَقِينِ ثَانِيًا ثُمَّ بِالْعِيَانِ ثَالِثًا- (36) .

ثالثا - تفسير التستري:

هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة 383هـ، سلك فيه صاحبه مسلك الصوفية مع موافقته لأهل الظاهر، ولم يستوعب تفسيره كل آيات القرآن وإن استوعب السور - (37) .

ومن شواهد ما ساقه عن الإشارات في تفسيره ما ذكره في البسملة أول آيات الفاتحة حيث قال: ((الباء بهاء الله عز وجل : والسين سناء الله عز وجل . والميم مجد الله عز وجل .

والله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب ، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الأخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان .

والرحمن: اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام والرحيم: هو العاطف على عباده، بالرزق في الفرع والابتداء في الأصل رحمة لسابق علمه القديم .

قال أبو بكر: أي بنسيم روح الله اخترع من ملكه ما شاء رحمة لأنه رحيم .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الرحمن الرحيم" اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فنفي الله تعالى بهما القنوط عن المؤمنين من عباده))-(38) .

وكذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ حيث قال: ((وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ما هذه الرهبة التي أمرهم بها؟ فقال: أراد موضع نور النفس من بصر القلب والمعرفة من كلية القلب لأن المكابدة والمجاهدة في الإيمان فإذا سكن القلب من التقوى إلى الغير انكشف نور اليقين، ووصل العبد ساكناً بالإيمان لله توحيداً على تمكين، أعني سكون قلبه إلى مولاه، فصار نور اليقين يكشف عن علم اليقين، وهو الوصول إلى الله تعالى فلا ذلك اليقين بنور اليقين إلى عين اليقين ولا مخلوق، لأنه

نور من نور ذات الحق لا بمعنى الحلول، ولا بمعنى الجمع، ولا بمعنى الاتصال، ولكن معنى اتصال العبد بمولاه من موضع توحيده وطاعته بالله ورسوله، فعلى قدر قوته من البصر بالله يدرك التقوى لله والرغبة إياه، وأصل التقوى: مباينة النفس، فيباينها في ذلك، ولا يساكنها شيئاً من ملاذ هواها، ولا ما تدعوه إليه من حظوظها التي لم تتعذر فيها، واعلم أن الناس يتفاضلون في القيامة على قدر نور يقينهم، فمن كان أوزن يقيناً كان أثقل ميزاناً، وكان من دونه في ميزانه، قيل: يم تعرف صحة يقين العبد؟ قال: بقوة ثقته بالله تعالى، وحسن ظنه به، فالثقة بالله مشاهدة باليقين وعين اليقين وكليته وكماله ونهايته الوصول إلى الله عز وجل)) - (39).

ومن هذين الشاهدين نجد أن التستري وافق في الإشارات التي ساقها بما هو قريب من الظاهر مع عدم إغفاله للظاهر، وهو الغالب في أغلب الإشارات التي أوردها .

رابعا - تفسير ابن عربي :

صاحب هذا التفسير هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي المتوفى سنة 638هـ .
لقد حاولت الوصول إلى هذا التفسير ولكن دون جدوى ، إلا أنني وجدت كتابا يتحدث عن هذا التفسير بشكل مفصل يحمل عنوان: تفسير ابن عربي حقيقته وخطره - للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) - إذ ذكر فيه مقدمة عن التفسير الإشاري وأقوال العلماء فيه، فضلا عن وقفات مطولة ومناقشات مع الإشارات التي أوردها ابن عربي في تفسيره، ومن تلك الإشارات التي يظهر فيها الشر بأبشع صورته وتصيب عقيدة المؤمن من القواعد ما ذكره عند قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} سورة البقرة الآية 188- حيث قال: ((ولا تأكلوا أموالكم " معارفكم ومعلوماتكم "بينكم " بباطل شهوات النفس ولذاتها، بتحصيل مآربها واكتساب مقاصدها الحسية والجمالية باستعمالها "وتدلوا بها إلى الحكام " وترسلوا إلى حكام النفوس الأمانة بالسوء "لتأكلوا فريقا من أموال الناس" بالقوى الروحانية "بالإثم" أي بالظلم بصرفكم إياها في ملاذ القوى النفسانية "وأنتم تعلمون" أن ذلك إثم ووضع الشيء في غير موضعه)) (40) .

2- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ..} سورة آل عمران - الآية 52- حيث قال:

((فلما أحس عيسى " القلب من القوى النفسانية "الكفر" الاحتجاب والإنكار والمخالفة "قال من أنصاري إلى الله " أي اقتضى من القوى الروحانية نصرته عليهم في التوجه إلى الله "قال الحواريون " أي صفوته وخالصته من الروحانيات

المذكورة "نحن أنصار الله أمنا بالله" أي بالاستدلال والتتور بنور الروح "واشهد بأننا مسلمون" مذكرون مقادون))-(41) .
وعند تفسيره لقوله تعالى: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}-
سورة آل عمران 191- قال: ((ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلا"، (أي شيئاً غيرك) ، فإن غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك "سبحانك" " ننزه كأن يوجد غيرك، أي يقارن شيء فردانيتك، أو يثني وحدانيتك)) .
2- وعند تفسيره لقوله تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ}-سورة الواقعة 57-
حيث يقول ما نصه: ((نحن خلقناكم بأظهاركم بوجودنا وظهورنا في ظهوركم)) .
3- وعند تفسيره لقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}-سورة الحديد الآية 4-حيث
قال: "وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به، وظهوره في مظاهركم .
4- وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة المزل: {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} قال ما نصه: (("واذكر اسم ربك" الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها "رب المشرق والمغرب" أي الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب لك))- تفسير ابن عربي حقيقته وخطره - محمد حسين الذهبي 31/1-32-43- .
هذه نماذج من تفسير ابن عربي تكشف عن روح هذا التفسير وهي روح كلها شر وتفسير هذا شأنه يفسد على المسلمين عقيدتهم ويوقعهم في حيرة وشك من كتاب ربهم، فيه صرف للتفسير عن حقيقته وظاهره وتأسيسه عن تأويلات وإشارات شيطانية من شأنها هدم الشريعة وإفساد العقيدة إفتان المؤمنين في دينهم، وهذه لعمري هي التجاوزات الضالة التي قصدنا التوقف عندها في هذا البحث، والتحذير منها وإرشاد المسلمين عن الابتعاد عنها .
قال الزرقاني عن هذا النوع من التفسير: ((بيد أن هذا التفسير كما ترى جاء كله على هذا النمط دون أن يتعرض لبيان المعاني الوضعية للنصوص القرآنية وهنا الخطر كل الخطر فإنه يخاف على مطالعه أن يفهم أن هذه المعاني الإشارية هي مراد الخالق إلى خلقه في الهداية إلى تعاليم الإسلام والإرشاد إلى حقائق هذا الدين الذي ارتضاه لهم))-(43) .

الخاتمة :

خلصت في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج وهي :

- 1- التفسير الإشاري ما لم يخرج بالتفسير عن مساره المستقيم الذي هو أساس الشريعة الغراء على رأي بعض أهل التفسير . .
- 2- التفسير الإشاري يختلف اختلافاً كلياً عن التفسير الباطني الذي يقبل التشريع والعقيدة رأساً على عقب والذي هو منهج الملحدين .

- 3- التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم يخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية .
- 4- إن العبارات التي نجدها في التفسير الإشاري هي عبارات ألفتها في طرق الصوفية أو لسان الصوفية إذ أنهم يوجهون الآيات لتجاربهم ولمعتقداتهم وكشواهد لمصطلحاتهم .
- 5- المتأمل لبعض التفسيرات الإشارية يجد أنها لا تخلو من الإسرائيليات والاستشهاد بغير الكتاب والسنة، والاعتماد على بعض الرؤى والمشاهد الغيبية مع إهمال الأسانيد الصحيحة، فضلا عن ترويجها للفكر الباطني بطريق أو بآخر وهذا أمر غاية في الخطورة .
- 6- انقسم العلماء حول هذا النوع من التفسير بين مجوز وممانع، فالمجوزون رأوا بأن له أصلا ثابتا من أقوال الصحابة كالإشارة التي فهمها ابن عباس من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وبين ممانع خوفا من صرف الناس عن حقيقة التفسير وانشغالهم بتأويلات فيه من التزييف والتأويل المخالف لأصول الشريعة وإفساد العقيدة .
- الإشارات الموجودة في كتب التفسير وإن لم تخالف ظاهره فالأولى الابتعاد عنها والانتفات لما هو ظاهر صحيح، فقد يقع القارئ في مزالق تذهب به عن جادة الصواب وتصرفه عن دينه .

الهوامش:

- 1- لسان العرب ابن منظور- عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار المعارف، القاهرة - 415/15 .
- 2- هو محمد محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة، من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن) - الأعلام للزركلي - 210/6.
- 3- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني- تحقق أحمد عيسى المعصراني. مصر: دار السلام 1424هـ - 2003م ، 437/2 .
- 4- التبيان في علوم القرآن للصابوني- ص191 .
- 5- الباطنية فئة جنحت على المنهج القويم وهم الذين قلبوا الإسلام وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا الكفر، كانوا شديد حرفوا القرآن وقلبوا أحكامه وأخرجوه عن وجهه الصحيح، كأنهم يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر المحض- أحاديث الفتن والحوادث - 66/2.
- 6- مناهل العرفان ، مرجع سابق ، 437/2 .
- 7 - الزركشي هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهِ الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة - ط) و (لقطة العجلان - ط) متوفى 1344 - 1392 م - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ابن حجر العسقلاني- 479/1.
- 8- الزركشي في البرهان في علوم القرآن-محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله 794هـ- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة 1391 بيروت 170/2
- 9- هو أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الخضير السيوطي: فاضل مصري، له علم بالعربية وفقه الشافعية. عرض عليه قضاء مكة فأبى، ولد في (أسيوط) واستقر وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (حاشية على أدب القضاء للغزي) وكتاب في (التصريف) و (حاشية على شرح الألفية لابن المصنف توفي سنة 1402 - 1451 -الضوء اللامع- السخاوي موقع الوراق دار الحياة- 69/2.
- 10- الإتيان في علوم القرآن -لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي 911هـ-محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط: 1 1394 هـ/ 1974 م - 488/2 .
- 11- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه - ط) أربع مجلدات، و(المجالس) شرح به كتاب البيوع - توفي سنة 1388هـ .
- 12- الموافقات للشاطبي -إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) - تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ، الطبعة

الأولى 1417هـ/ 1997م - 403/3 . فهرس الفهارس تحقيق: إحسان عباسدار الغرب الإسلامي - بيروت ص. ب: 5787/113 - ط 2 ، 1982 - 286/1.

13- فتح الباري-أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب 736/8 .

14- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين - ط) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ط) توفي: 1292 - 1350 م .

15- أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان - 1263 - 1328 م) - البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري - دار إحياء التراث العربي ط1- 1408 هـ.

16- الفتاوى الكبرى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: 728 هـ دار الكتب العلمية - ط1- 1408 هـ - 1987م- 245/13 .

17- إعلام الموقعين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية 751 هـ تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت ط1- 1411 هـ - 1991م- 354/1 .

18- الفتاوى الكبرى لابن تيمية 376/6 .

19- محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، شيخا للإسلام مالكيًا. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي - 1879 - 1973 م .

20- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي 1393 هـ- الدار التونسية للنشر - تونس - 1984 هـ 16 /1 .

21- التحرير والتنوير لابن عاشور 17/1 .

22- مناهل العرفان للزرقاني 456-455/2 .

23- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية- تحقيق: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله- دار الفكر - ص 49 .

24- مناهل العرفان للزرقاني - 439/2 .

25- قم: مدينة تقع وسط إيران ، يحج إليها الشيعة و لها عندهم قدسية طولها 64 درجة وعرضها 34 درجة وتلثان، قيل أن الثلج يخرج منها في الصيف، وقد نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم، وهي بين أصبهان وسواة ينظر معجم البلدان ج 4 /368، 397 وفتوح البلدان،

- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، توفي، 279تحق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ - 308/1.
- 26-النيسابوري ومنهجه في التفسير: د. ماجد زكي الجلاد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1 - 2000 م - ص 18، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1-230، وهدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي منشورات مكتبة المثني بيروت، ط اسطنبول 1995 - 283/1 .
- 27 -غرائب القرآن ورغائب الفرقان: لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري تحق- حمزة النشرتي- وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة القاهرة 329-328-327/1 .
- 28- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري تحق : دار الجبل بيروت - دار الأفاق الجديدة بيروت -2186/4-ح 36 .
- 29-غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري 93-92/3 .
- 30- صحيح مسلم- 216/13-ح- 4870 .
- 31- المستدرک على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت ط- 1- 1411- 1990 - بلفظ أخبريني- 4610-ح-129/3 .
- 32- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري 366-365/5 .
- 33- طبقات النسابين لابن غيهب 186/1 .
- 34- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي - 1270ه تحق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية - بيروت - ط1- 1415 هـ 3/1 .
- 35- روح المعاني للألوسي ، مرجع سابق ، 361/1 .
- 36- روح المعاني للألوسي ، مرجع سابق ، 165-164/6 .
- 37- طبقات الصوفية أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي 412ه تحق:مصطفى عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية سنة النشر 1419هـ 1998م بيروت .
- 38- تفسير التستري 1/1 .
- 39- تفسير التستري ، مرجع سابق ، 13/1 .
- 40- تفسير ابن عربي حقيقته وخطره - محمد حسين الذهبي ، سبق الإشارة إليه ، 30/1 .
- 41- المصدر نفسه 31/1 .
- 42- المصدر نفسه ، 32-31/1 .
- 43- مناهل العرفان للزرقاني ، مرجع سابق ، 445/2 .